الدرس الثاني : أهمية الفخار في علم الآثار

أولا : أهمية الفخار في علم الآثار

إن دراسة الفخاريات من الدراسات المهمة التي تمدنا بمعلومات قيمة عن آثار العصور الماضية كما تعطي لنا صورة خاصة لتتابع الهجرات وتأريخ المكتشفات تأريخا نسبيا وتعرفنا بالطرق الصناعية والفنية التي مارسها الخزافون القدامى.

تشكل مادة الفخار لمؤرخي الفن ولعلماء الآثار مادة أساسية لدراسة تطور الحضارات عبر العصور، وأضحى علم الفخاريات اليوم من العلوم الأساسية ضمن نطاق علم الآثار.

يعثر المنقبون في كثير من الحالات من مرحلة التحري الأثري على قطع فخارية صغيرة مبعثرة على سطح الموقع، وجود تلك القطع الفخارية دليل على أن هذا الموقع قد سكنه الإنسان في العصور القديمة، وانتشار الفخار على السطح دليل على وجودها في الباطن أيضا، من هنا تأتي أهمية التنقيب لأن الأواني الفخارية في باطن الأرض تمثل تعاقب العصور والحضارات في تسلسل سليم ودقيق .

إن الدراسة الموضوعية لأصناف وأنماط الفخار تحتاج فحوصا وتحليلات كيميائية واختبارات فيزيائية كما تحتاج لجداول إحصائية وغيرها من المعاملات الأخرى، كما يجب أن نضع وصفا دقيقا وواضحا لقطع الفخار المهمة المستخرجة من المواقع الأثرية المختلفة.

مجالات استعمال الفخار في الفترات القديمة :

مقارنة بالشعوب الحديثة التي تستعمل الأواني الفخارية عادة للتزيين ونادرا للاستعمالات اليومية فإن الشعوب القديمة كانت تصنع الأواني لاستخدامها في أغراض شتى كتخزين الحبوب والمواد الغذائية والسوائل وفي الطهي وفي حالات أخرى لدفن الموتى أو لاحتواء رماد الجثث المحروقة طبقاً لطقوس جنائزية محددة أو حتى لتزويد الميت بمتطلبات العيش بعد الموت ولضمان استمراره في الحياة الثانية حسب معتقدات الشعوب القديمة:

الدرس الثاني : أهمية الفخار في علم الآثار

الاستعمالات الدينية والجنائزية (usages religieux et funéraires) :

استعملت الشعوب القديمة، الأواني الفخارية لأغراض دينية، التي تمثلت خاصة في حرق البخور داخل المعابد، هذه العملية تتطلب عادة أواني من الحجم الصغير، أما الاستعمالات الجنائزية فهي متعددة فمنها أواني استعملت داخل القبور لترافق الميت خلال رحلته في الحياة الثانية أو كأواني تستقبل الرماد وبقايا العظام في حالة ممارسة طقوس حرق جثة الميت أو كأواني لدفن الميت، أوليت الأواني الفخارية الجنائزية اهتمام كبير لذا حافظت على شكلها، ما ساعد على دراستها، ويعتبر الفخار من أهم الأثاث الجنائزي الذي يعثر عليه أثناء القيام بحفريات في مقابر قديمة.

الاستعمالات التشريفية (usages honorifiques) :

نجد بعض الأواني تصنع خصيصا لتكون ضمن الجوائز التي تقدم للفائزين في مختلف النشاطات والمسابقات وتكون على أشكال مختلفة غالبها المزهريات (les vases) والكؤوس (les coupes).

الاستعمالات المنزلية (usages domestiques) :

تصنع أواني فخارية بأنماط مختلفة لغرض استعمالها في المنازل فمنها ما شكل على هيئة مصابيح زيتية، ومنها ما استعمل في المطبخ إما أواني المائدة كالصحون والأقداح أو أواني الطبخ كالقدور، إضافة إلى أخرى صنعت لتخزين المواد الغذائية (الحبوب والسوائل)، كالخابيات والأمفورات.

أهم المراجع :

- Alexandre BRONGNIART, Traité des arts Céramiques ou des Poteries, 3 tomes,

  Paris 1844.

- BALFET, lexique et typologie des Poteries.
- Daniel RHODES, La Poterie, les Formes.